**النظرية الواقعية أو الانعكاسية**

ظهرت هذه النظرية في نهاية ق 19 م، وتميزت عما سبقها بالدعوة إلى ربط الأدب بالواقع المعيش، ولذلك اصطلح على تسميتها بالنظرية الواقعية، وأبرزمن يمثلها في حينه هيبوليت تين الذي رأى بأن هنالك ثلاثة عوامل تؤثر في الأدب هي الجنس والبيئة والزمن. كما كانت محاولة تولستوي إيجاد فن يسعد الجماهير الفقيرة على وجه الخصوص إدراكا منه لأهمية العلاقة بين الأدب والقراء عامة دون تمييز طبقي. وبشكل عام فقد كانت الكثير من الأفكار الاجتماعية والتاريخية مقدمات للاهتمام بالعلاقة بين الأدب والواقع ومن ثم التركيز على وظيفة الأدب.

**الخلفية الفلسفية للنظرية**: استندت نظرية الانعكاس إلى الفلسفة الواقعية المادية بعكس النظريات السابقة جميعها التي استندت إلى المثالية. وترى هذه الفلسفة أن الوجود الاجتماعي أسبق من الوعي وأنه هو الذي يحدد أشكال لك الوعي. وقد تميزت ﲝيويتها وقدرتها على الاستمرار وتطوير مفاهيمها واهتمامها بكافة جوانب الظاهرة الأدبية.

تنطلق الفلسفة الواقعية المادية من اعتبار الواقع المادي وهو علاقات قوى الإنتاج داخل المجتمع أو ما يسمى بالبنية التحتية مولدا لوعي محدد يتمثل في الثقافة والفلسفة والأدب والقوانين أي ما يسمى بالبنية الفوقية. وكل تغيير في البنية التحتية يؤدي إلى تغيير في البنية الفوقية. أي أن كل تغير في الواقع الاقتصادي أو الاجتماعي يؤدي إلى تغير في الوعي والثقافة. لكن العلاقة بين البنيتين علاقة جدلية ذات تأثير متبادل، فالتغير الحاصل في البنية الفوقية ينعكس أثره على البنية التحتية.

وبناء على ذلك فكل تغير اقتصادي أو اجتماعي يستتبع تغيرا في مفهوم المجتمع واللغة والأدب وهو ما يؤدي بالضرورة إلى تغير في الأشكال الأدبية من حيث الموضوعات والأساليب والأهداف، وهو ما يعني أن الأدب انعكاس للواقع الاجتماعي. ولا يعني ذلك أن الأدب مجرد تابع للظروف الخارجية بل هو أيضا يؤثر فيها كما يتأثر بها، فالعلاقة بينهما جدلية.

**مفهوم الالتزام**: انبثق عن هذه النظرية مفهوما الالتزام والذي قد يتداخل مع المعنى الأخلاقي، لكن المعنى الحقيقي له هو التعمق في تحليل العلاقات الاجتماعية من الداخل من منطلق الالتزام بمبادئ الفلسفة التي يصدر عنها الأديب وخصوصا في الواقعية الاشتراكية.

فالتزام الأديب يقصد به أن يكون أدبه هادفا يحمل رسالة تتفق مع الأيديولوجية أو العقيدة وتنتصر للطبقات الكادحة ضمن ما يسمى بصراع الطبقات، لأن الأديب عضو في الجماعة، تؤثر فيه العادات والتقاليد الموروثة، وحين يبدع فإنه يعبر عن علاقته بالواقع ليكشف الخلل في تلك العلاقة وليقدم رؤية جديدة أكثر انسجاما من خلال عمله الأدبي، فالأديب هو الأداة التي يعبر المجتمع من خلالها عن نفسه. فلأن الأديب عضو في الجماعة فإن مشكلاته الخاصة جزء من مشكلات المجتمع فهو حين يعبر يمزج الخاص بالعام والفردي بالجماعي ليحقق لتجربته شرط التواصل مع القراء. وعلى مستوى اللغة فإن الأديب يعتبرها ظاهرة اجتماعية، وهو مقيد بمستوى لغوي معين يحدده الوضع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للمرحلة التي يعيشها. إن العمل الأدبي نتيجة للتفاعل بين الأديب والمجتمع، والأدب تعبير عن موقفه منه.

**أهمية القارئ**: إن القارئ في نظرية الانعكاس ليس مجرد متلق للعمل الأدبي بل مشارك ولو بشكل غير مباشر في عملية الإبداع الفنية باعتباره جزءا من المجتمع الذي يستقي منه الأديب مادته. وترى نظرية الانعكاس أن الأدب فعالية اجتماعية، وأن وظيفة الأدب ليست المتعة الجمالية أو المهارة اللغوية بل يسعى الأديب لنشاركه في التجربة بشكل يؤدي إلى تغيير وجهات نظرنا وأفكارنا. والهدف من كل لك هو خلق نوع من الاتساق الفكري والشعوري في الموقف الجماعي بين أفراد الطبقة الاجتماعية بطريقة غير مباشرة، أي من خلال الأدب.

**وظيفة الأدب في نظرية الانعكاس**: تتمثل وظيفة الأدب في ا لتحفيز على فهم الحياة بطريقة

أعمق، وتحريك الإنسان ليساهم في تغيير واقعه الاجتماعي نحو الأفضل.

ونظرا إلى خلفيتها الواقعية فقد صارعت هذه النظرية غيرها من النظريات السابقة تبنت فكرة الفن الخالص أو نظرية الخلق، و فكرة الأدب الذاتي أو أصحاب نظرية التعبير. فقد ركزت نظرية الانعكاس على الدلالة الاجتماعية للأعمال الأدبية وعلى علاقة الأدب بالمجتمع وجعل الأدب عنصرا فاعلا وموجها لحياة الناس. ومن ثم نعتبر أنها ركزت على وظيفة الأدب وانطلقت منها لتفسير الظاهرة الأدبية.